الاشتراكية التجريبية فى مصر والخارج

دراسة مقارنة

للأستاذ الدكتور أحمد سويلم العمرى
أستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية
جامعة القاهرة

الاشتراكية فى اعتبار جل مفكرى وقادة وزعماء عالم اليوم هى العلاج السليم لأسقام الأفراد والشعوب المعنوية والمادية ولمشكلات عصرنا المفعم بالأزمات والاضطرابات . ولقد سالت الأقلام مدرارا فى وصفها وأنواعها واتجاهاتها ومزاياها وطرق تطبيقها ، ونهج الكتاب مناهج متنوعة فيما تصوروه من حياة أسعد للناس فى ظلها وقد أصبحوا فى منآى عن الفاقة والضيق والحرمان فى مدنهم الاشتراكية الفاضلة .

ورأوا فى الاشتراكية وقد اتبعوا فى دراساتهم الاستنباط والفروض انها البلسم الذى يشفى جراح الانسانية فى عصرنا الحاضر وقد اكتظت الأرض بالأهلين الذين يتزايد عددهم زيادة هندسية بينما لا تتزايد الأراضى بمحصولاتها الزراعية وبما تخرجه من الأغذية الا زيادة حسابية ، مما يعرض البشرية لضيق الرزق وللشح وحياة الحرمان واشتداد الصراع على العيش ، ومما يجعل وجوب تحقيق عدالة اجتماعية أى تأمين الناس على أعمالهم ومعاشهم وتوزيع الأعمال والأرزاق على الناس بالقسطاس وتوفير الرزق للمواطنين والضمانات للمستقبل وقد أخذ يبدو قاتما فى مقدمة ما يهتم به الكتاب ورجال الحكم والأحزاب السياسية على اختلافها . وأصبح بحث وجوه هذه السياسة وطرق تطبيقها فى مقدمة مسائل عالم اليوم .

ويصعب تناول الاشتراكية بتفاصيلها ووقائعها فى محاضرة أو فى مقال ، فلقد خلد المفكرون على مدى العصور منذ أفلاطون وهم يصفونها فى تصوراتهم عن المدينة الفاضلة وفى قصصهم عن كد الطبقات الكادحة

وضرورة انصافها أفضل ما يخرجه العقل البشرى ابتداء من « جمهورية أفلاطون » الى قصتى « البؤساء » « وكادحى البحر » لفكتور هوجو ومجموعة قصص بلزاك ونقد حياة الدعة والاستعمار فى شتى كتابات انا تول فرانس عن البرجوازية العابثة العاتية وخاصة مؤلفاته بعنوان « تاريخ معاصر » ، قصص تولوستوى فماكسيم جوركى .

ونتناول فى هذه العجالة وفى عرض سريع ما عليه الانسانية اليوم مع وصف تخبط عالمنا الحالى فى دياجير الحيرة والأزمات ، كما نبين بعض نواحى الاشتراكية التى تهمنا استنباطا واستقراءا ، ونشرح اهتمام رجال الفكر بها منذ العصور القديمة ، ونعرض لامهات الآراء لرجال مدائن الأحلام وهم يصورون العالم بأقلامهم على نسق تصوير ريشة الفنان فى ثوب فضفاض من الاشتراكية يقى الانسانية العوز والأزمات ويضع حدا للتطاحن والشحناء بين الناس ، كما نبين وعورة السبيل الذى تسلكه الانسانية اليوم وابراز أنواع الاشتراكية فى القرن العشرين ، وكيف انها وثيقة الصلة بثورات قرننا الحالى ، مع مقارنة اشتراكيتنا بغيرها .

ولا يفوتنا أن نشرح أهم تجاربها فقد خرجت من النطاق النظرى الى التجريبى فالتطبيقى ، وأفيدها للناس ، والى أى مدى تحقق حياة استقرار وسلام للبشرية . وندرس اشتراكيتنا الناجحة الراسخة التجريبية فالتطبيقية وهى مستوحاة من حياتنا وطبائع شعبنا وبيئته ومناخه السياسى .

وأخيرا نستخلص فى خاتمة البحث من الدراسة المقارنة أثر الاشتراكية وقد راجت فى أنحاء العالم بكتلتيه الشيوعية والرأسمالية فى تدابر الشعوب وتباعدها أو تقاربها وتفاهمها ، وهل هى مصدر رغد للانسانية ، أم هى بما ترسمه من خطط وبما تجلبه من تنافس فى التطبيق وباختلاف وجهات النظر فى التصارع والتعايش السلمى لا تقى البشرية شرور الحروب مستقبلا وخطر نهاية المدنية أو انحدارها الى هاوية التأخر بفعل السلاح الذرى ؟

ونتساءل هل نحن نعيش فى جو طليق ونفوسنا حرة تسلك الطريق الذى تشاؤه ، فأما تفاهم وتقارب وتعاون على توزيع ما تحكم عليه البشرية اليوم من موارد توزيعا عادلا فيرفرف على البشرية الرخاء ، واما خصام وبغضاء فحرب وتدمير شامل بفعل أمضى الأسلحة الجهنمية وزوال الرفاهة التى جاءت نتيجة ما قدحه زناد الفكر على مدى القرون العديدة ، وحرب التدمير الشامل هذه يمكن للانسان المفكر وهو على استعداد للتعاون مع غيره أن يتقى وبالها ، وقد قام الانسان وهو موجود وجوهره عالق بوجوده وخاضع لارادته ، وبمحض هذه الارادة الحرة يمكن أن يسعد أو يشقى ويرقى سلم الحضارة والرفاهة أو ينحدر الى الى هاوية الشقاء والدمار .

« الفكر والقلم قبل التجارب والتطبيق »

تتميز دراسات الاشتراكية بأن جل ما كتبه رجال مدائن الأحلام والمدينة الفاضلة وما تمنوه فى اقامة عالم أفضل يرفرف السلام والسعادة بأجنحتهما عليه سبق المشكلات التى أدت الى تطبيقها كعلاج حاسم لمتاعب الانسانية وأزماتها وهم ينظرون الى مشكلة عامة تحير البشرية منذ القدم وهى الكفاح فى سبيل العيش واتقاء الفاقة والعوز .

وذلك بعكس كتاب النظام الرأسمالى ، فقد عرض الكتاب لقضية الرأسمالية نتيجة ما لمسوه من أخطار تهددها ومن أزمات كساد وتكدس المحصولات والمصنوعات وهبوط للأسعار أو اضطراب ينشب أظفاره فى الأسواق مع سوء توزيع المواد الأولية واعراض عن السلع وقد قل رزق وكسب رب العمل والعامل وتعذر تصريف المنتجات وهبطت أسعارها الى ما دون نفقات انتاجها ، وهكذا سبقت الكتابات الاشتراكية عادة مشكلات العمل والعمال ، بينما لحقت الكتابات التى تشيد بالرأسمالية الفردية ونجاحها فى تثمير موارد الانتاج واتساع نطاق المشروعات والشركات المشكلات التى شجرت نتيجة تضخم رءوس الأموال فاضطراب الأسواق فكسادها فهبوط الأسعار وعجز المدينين عن الوفاء فشلل التجارة الخارجية فانتشار البطالة واغلاق المصانع أبوابها واضطرار الحكومات فيما بين

الحربين العالميتين الى التدخل وفى مقـدمتها حكومة الولايات المتحـدة الأمريكية باعلان الموراتوريوم أى تأجيل سداد الديون لفترة معينة حتى يستعيد العالم الرأسمالى الفردى شيئا من قوته ويسير فى النقـاهة وقد كادت تخمد أنفاسه وذلك ابتداء من استحكام حلقات الأزمة الاقتصادية العالمية سنة ١٩٣٠ .

وكذلك يلاحظ أن جل الذين نزلوا الى ميدان الفكر والكتابة فى الاشتراكية أو الشيوعية ليسوا من صميم العمال وحملة الفؤوس أو المطرقة والسندان ، وكلا الشيوعية والاشتراكية لخدمة العمل والعمال ولتوزيع ثمرات العمل والانتاج على سواد الشعب اما عن طريق الدولة أو النقابات بما يكفل له حياة كريمة فلا يستأثر نفر باحتكار رأس المـال تبعا لنهمه ورغبته فى المزيد منه ، وكلما جمع مليونا فهو يطلب مليونا آخرا ، وينتهى به المطاف الى تسخير رأس المال الفردى هـذا فى الصراع القومى ضد الشعب وفى الصراع الدولى ضد الشعوب باستخدامه للتسلح والحرب ووضع اليد على مسالك البر والبحر والمراكز الاستراتيجية الهامة التى تمهد الى الاستيلاء على المواد الأولية أو انتزاعها من أصحابها عنوة بأبخس الأسعار وتسخير الأيدى العاملة فيما وراء البحار فى استخراج البترول وسائر المعادن النفيسة كالنحاس والذهب والفضة والنيكل والزنك وفى زراعة البن والشاى والقطن والقنب والأرز وسائر المحصولات الزراعية الدولية وفى انشاء مزارع فسيحة الأرجاء للمطاط والحصول عليها بأبخس الأسعار .

ويحاول هؤلاء الكتاب وهم من الطبقة الواعية وقد سمت بهم ثقافتهم وقوة أقلامهم وتصوراتهم والهامهم فى خدمة الانسانية الى التحليق فى سماء العدالة الاجتماعية والاقتصادية الحقة ، وهى أسباغ نعماء البشرية وخير ما تخلعـه الأيدى على أكبر عدد من البشر ، فلا حرمان ولا عوز ولا جوع فى عالم تتعقد مشكلاته نتيجة الحروب العامة وخرائبها والثورات وقلبها الأوضاع رأسا على عقب ، وما تتطلبه من اعادة البناء ، فضلا عن سوء توزيع المواد الأولية والحاجات على البشرية فمناطق تموج بالخـير

والسعة وأخرى يخنقها الحرمان والجوع ، وكذلك تزايد عدد سكان الأرض تزايدا هندسيا يهدد يوما ما طاقة البشرية فى توفير المواد الغذائية والمحصولات والأعمال للجميع ، وقد لوحظ مثلا أن عدد سكان اليابان اليوم يزداد سنويا بمقدار مليون وربع مليون نسمة وأن عدد سكان مصر يزداد سنويا بنحو ٤٠٠ ألف نسمة ، والأمثلة فى هذا الصدد عديدة .

وذهب أفلاطون وهو أقدم من كتب فى الاشتراكية وقد ولد فى أثينا سنة ٤٢٧ قبل الميلاد ومات سنة ٣٤٧ قبل الميلاد الى حد الشيوعية وشرح توزيع الأعمال والاختصاصات على طبقات المجتمع مع توفير الخدمات والقوت والرفاهة للجميع والبعض للجندية والبعض للفصل فى المنازعات وسواد الشعب للانتاج ، ورسم خططا محكمة فى التطبيق وهو من أعرق وأنبل أسرات أثينا ، وكان تلميذا لسقراط كما كان أستاذا لأرسطو مؤدب ومعلم الأسكندر الأكبر .

وهناك توماس مور من فلاسفة الانكليز للقرن الخامس عشر ، وقد كان نائبا فى البرلمان ووزيرا لهنرى الثامن ، وكتب مؤلفه المشهور فى المدينة الفاضلة أو اليوتوبيا ، وتخيل العالم المجرد عن الأدران الذى يحلم به ، ورفض أن يذعن لارادة الملك فى الاعتراف بسلطانه الروحى مما أدى الى اعدامه بالبلطة .

وهناك كامبانيلا وهو فيلسوف ايطالى عاش بين القرنين السادس عشر والسابع عشر وقضى ربع قرن فى السجن واتبع الوسيلة التجريبية فى دراساته واصطدم بالسلطات كما أتهم بتزييف العملة مما أدى الى سجنه ، وكتب مؤلفه المشهور بعنوان مدينة الشمس يصف فيه مجتمعا شيوعيا يعيش الناس فيه فى بعد عن الحرمان ويحصلون على حاجاتهم بتوزيعها عليهم دون تجارة ، وكل يباشر اختصاصا معينا على قدم المساواة ، ومجتمعه الذى يحلم به شيوعى متقشف يعمل الجميع فيه ساعات محددة بأربع ساعات للحصول على حاجات المرء ، وينصرف فيه الانسان الى الدراسات العلمية والفنية ، كما اهتم بما كان يجذب عالم ذلك الوقت وهو اكتشاف العالم الجديد ، وحافز العمل فى اعتباره الشعور بالواجب والمسئولية

والحب الذى يكنه الانسان للجماعة ، ويرى كأفلاطون لالغاء الامتلاك الفردى أنه يتعين الغاء نظام الأسرة ، وهو ينبذ الذهب ورأس المال الفردى والامتلاك والحرية والفردية ويعتبرها مصدر آلام الانسانية .

ونذكر كابيه وهو من رجال مدائن الأحلام الفرنسيين للقرن التاسع عشر ، وكان محاميا وتقلد منصب النائب العام لقورسيقا وله كتابه المشهور بعنوان « رحلة فى الايكارى » ، وهو على نسق مور وكامبانيلا ، ويصف فى كتابه الحياة الشيوعية التى يتمناها للمجتمع .

وهناك لويس بلانك من وزراء ثورة فرنسا ضد الملكية لمنتصف القرن التاسع عشر ، وينادى بمعاونة الدولة للجمعيات حتى تقوى لتنهض بحياة المواطنين الاقتصادية ، ويرسم كيف توفر الدولة لهم العمل وترفع مستوى معيشتهم ، وهو صاحب فكرة انشاء الدولة المصانع الأهلية .

وهناك برودون من مفكرى فرنسا لمنتصف القرن التاسع عشر ، وكان موظفا فى محل تجارى بمدينة ليون ، ثم اهتم بالمسائل الاجتماعية واخرج كتابه بعنوان تنظيم الانسانية ، ونشر كتابا آخرا بعنوان « المتناقضـــات الاقتصادية » .

واتصل بماركس وتبادلا المراسلات ، غير أنه لم يتنازل عن شخصيته المستقلة المفكرة ، ولم يجعلها تتضاءل أمام كتابات وأفكار ماركس ، وعرف بمهاجمته العنيفة لحق الامتلاك الفردى ونعته بأنه سرقة فى مؤلفه الأول الذى نشره سنة ١٨٤٠ بعنوان « ما هو الامتلاك ؟ » .

ونذكر الكونت سان سيمون وقد عاش فيما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ــ وهو حفيد الدوق سان سيمون ، وكان ضابطا فى جيش الملك فى فرنســا واشترك فى حرب الاستقلال الامريكية ضد الانكليز المستعمرين ، ومال الى الدراسات الاقتصادية كما طاف فى عدة بلدان أوربية منها الأراضى الواطئة ، واحتضنته الثورة الفرنسية التى رحب بها ، واهتم بتنظيم الانتاج على أساس اشتراكى على أن توجه الدولة الانتاج وتنظيم العمــل وتعنى بالصــناعات ، وحارب فكرة استغلال الانسان

للانسان ، كما هاجم التعطل وقال ان الحرية والمساواة خدعة اذا لم يحصل الفقير فى كنفهما على خبزه ، وللفرد فى الدولة الحصول على كسبه على قدر كفايته وعمله ، كما أكد انتهاء عهد الترأس والتزعم بحق الفتح والمولد ، وهما يقومان فى اعتباره على أساس حق الكفاية الأدبية والثقافية والصناعية ، والدولة تنظم الانتاج وتوجه الفرد وتكونه لصالح الجماعة ليعمل فى تنمية مواردها وخاصة الصناعية .

وهناك فوريه وهو من رجال الفكر الفرنسى فيما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وكان الابن الوحيد لأحد كبار تجار الأقمشة فى ليون ، وكان مرهف الاحساس يميل الى الفن والشعر والموسيقى ، وكسب فترة عيشه فى التجارة ، ثم اشتغل مهندسا حربيا وتعاون بعد تردد مع الثورة الفرنسية ، ثم سبح فى خيالات المدينة الفاضلة بعنوان « الفالنستير » فالفالانج وكتب كذلك مؤلفات عدة ، أهمها ماتناول مستقبل الصناعة ، وجمع حوله العديد من التلاميذ والمعجبين بآرائه الاشتراكية والتعاونية ، وهاجم التجارة باعتبارها عمل طفيلى وتافه وفضل عليها المقايضة .

وهناك روبرت أوين من مفكرى التعاون الانكليز لما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وقد اشتغل بالتجارة منذ شبابه المبكر واهتم فى كتاباته برسم خطط اشتراكية مثالية لمجابهة خطر تزايد عدد السكان وقد آمن بقدرة الانسان على البناء والانتاج ، وانصرفت دراساته الى انشاء الجمعيات التعاونية للانتاج والاستهلاك لخدمة أعضائها ولمجابهة خطر طغيان الرأسمالية والاحتكار ، وكأحدى وسائل بناء العالم الاشتراكى الذى تخيله .

ويعد هؤلاء المفكرون من امثال فوريه وسان سيمون واوين وغيرهم فى طليعة رجال الاشتراكية المثالية الانسانية القائمة على خيالات مدائن الأحلام ، وهم لم يترعرعوا بين أزقة الأحياء الصناعية الفقيرة التعسة .

ونذكر أيضا ماركس من مفكرى الالمان للقرن التاسع عشر وقد عاش فترة طويلة فى لندن مدينة حرية الفكر على أساس الماجنا كارتا وما

جاء بعدها من تقرير حقوق الانسان مستبعدا من وطنه ليخرج فى هدوء مؤلفاته فى المادية التاريخية والتعاليم الشيوعية ، وكان من اسرة قضائية فكان أبوه محاميا ، كما درس القانون والعلوم السياسية فى برلين وبون من سنة ١٨٣٥ الى سنة ١٨٤١ وتولى رئاسة تحرير جريدة حرة فى كولونيا ، وتعددت كتاباته يصف فيها بؤس البروليتاريا واستغلال أصحاب رءوس الأموال لها وكفاح الطبقات ويتنبأ بنهاية الرأسمالية الفردية ، وشرح فى كتابه بعنوان « رأس المال » النهاية الحتمية للرأسمالية الفردية والاستعمار وبان أدوات الانتاج وقد صارت جماعية ستتبعها الملكية الفردية لتصبح جماعية لا لنفر ، وان النصر النهائى فى كفاح الطبقات هو للغالبية الأسوأ حالا والأكثر عددا وهى الطبقة العاملة التى ستقيم دكتاتورية لصالح المجموع .

ونذكر لينين من الصفوة الروسية الواعية وهو تلميذ ماركس وهو أبرز رجال الشيوعية التطبيقية لقرننا الحالى واتيح له لا نشر أفكاره فقط بل تنفيذ بعضها بثورة روسيا لسنة ١٩١٧ ، وهو من طبقة بورجوازية وكان أبوه معلما فى مدرسة عليا ، ودرس القانون والتحق بالحركة العمالية فى روسيا منذ بدء حياته الدراسية وفصل من الجامعة تبعا لأفكاره الثورية ونشاطه السياسى ، وتنبأ فى كتاباته بنهاية الاستعمار والبورجوازية وزعم أن النقابات التى ستدير المصانع ستحل محل الدول ، وهى نظام الجماعة السياسى للمستقبل ، غير أن التطبيق تجاوز دائرة تفكيره ولا تزال الدول الشيوعية بعيدة عن حلول النقابة محل الدولة ، بل ان دولة ستالين خليفة لينين ثم كروشيف فخليفته أقوى من دولة قياصرة رومانوف وأشد بأسا وبطشا ، وباسم الدولة التى يجب تدعيم اركانها تعمل الحكومة الشيوعية بتوجيه الحزب الشيوعى بحذر فى سبيل حماية النظام اللارأسمالى أو ملكية الدولة للثروة ولأدوات الانتاج ، وباسم البروليتاريا ينشط الحزب الشيوعى ويسير دولاب الأعمال فى النظام البيروقراطى المحكم بالتخطيط للسياستين الداخلية والخارجية . ولا تشاهد اشتراكية نقابية يرعاها الأفراد دون الدولة فى تجارب العالم الحالى ، وقد نحت دولة على اختلاف ألوان حكوماتها نحوا

اشتراكيا ما بين المعتدل والمتطرف ، بل ان الاشتراكية القائمة حاليا تضطلع بها الحكومات وترسم خططها وتسهر عليها كما يسهر الطبيب على العليل من السقم الى النقاهة ، أو كما يسهر حارس الليل على قوم فى مكان ما عين فيه ليجنبهم الاعتداءات ويقيهم الطوارىء حتى لا تفاجئهم ضربات يعجزون عن صدها وقد تركوا وشأنهم فى نظام وتنافس حر قد تطغى عليه المنافسة غير المشروعة ، ويتعذر جبر التصدع اذا عادت الدولة الى سياستها الحرة السلبية للقرن الماضى على أساس دع الأمور تسير فى مجراها وان تقتصر فى خدماتها على الجيش والبوليس والقضاء .

الاشتراكية والشيوعية فى القرن العشرين

تعددت آراء الكتاب وتباينت فى وصف العالم الاشتراكى الحاضر الذى يحاول علاج الانسانية من سقامها ورفع مستوى معيشة الفرد المعنوى والمادى ، ويمكن حصر التفكير الرئيسى للاشتراكيين الحديثين فى ناحيتين اساسيتين وهما اشتراكية المثل العليا والاشتراكية العلمية أو بعبارة أخرى الشيوعية دون الدخول فى تفاصيل ناحية أخرى مغايرة لهما ويسارية متطرفة وهى الانارشيه أو الاناركيه التى يعنى بها فلسفة الخروج من النظام الى الطبيعة والحرية الأولى كأساس للحياة السياسية المتحررة من كل نظام حكومى ، وكان فى طليعة مفكريها الأميركروبوتكين ونشر أفكاره فى مؤلفه بعنوان « الكفاح فى سبيل الخبز » ، ثم الاتجاهات الاشتراكية للفاشية وناحيتها السياسية العسكرية الاستعمارية تطغى على الناحية الاقتصادية والانسانية .

ونهجت الاشتراكية المثالية والاشتراكية العلمية المادية نهجا نظريا على أساس الفروض والخيالات ، ثم سرعان ما اتخذتا طريقهما التجريبى فالتطبيقى نتيجة الانقلاب الصناعى فى منتصف القرن الماضى وانتشار استخدام الآلات وزيادة وحدات الانتاج مع هبوط اسعارها الى حد ان أصبحت فى متناول الطبقات المتوسطة ومادونها وتعميم الشركات وتوظيف

الأموال الطائلة فيها عن طريق الأسهم والسـندات وتمـويل البنـوك للمشروعات الصناعية الضخمة واستخدام ملايين العمـال فى الصناعات والتعدين وحشدهم فى المدن الصناعية الكبرى وحـول مناجم الفحـم والحديد وغيرها واجتماعهم بالآلاف فى احيائهم مما يساعدهم فى عرض مشكلاتهم والتشاور فى مصالحهم وحزمهم الامر على الاحزاب وسهولة الدعوى للاشتراكية وتشـجيع أحزاب العمال وجمـع شملهم وكلمتهم للمطالبة باصدار تشريع العمل وبالتصويت العام المباشر مع الغاء النصاب المالى فى التصويت والانتخاب حتى يمكنهم المساهمة فى نشـاط الوطن السياسى وفى التشريع لسواد البلاد .

ويعنى باشتراكية المثـل العليا او الاشتراكية الانسانية الاشتراكية القائمة على أساليب مشتقة من تعاليم روحية لتبرير العطف على الطبقات العاملة وهى سواد الشعب وعملها على بنـاء الدولة ، والرغبة الشديدة بما جبل عليه الانسان الصالح من الميل الى الخير فى التخفيف ما أمكن من الفوارق الشاسعة الصارخة بين الناس وسلوك طريق العدالة الاجتماعية لتحقيق هذه الغاية ، واتخذ علاج مشاكل الانسانية ناحية فلسفية قائمة على حقوق الانسان وحرياته بمولده ، ثم اخذت تتزايد مشكلات العمال تبعا لانتشار الصناعات الآلية والتحويلية وتضخم الشركات والبنـوك واتساع الامبراطوريات الرأسمالية التى يحركها بين حين وآخـر نفر من أصحاب المصالح والملايين ويوجهون الاحزاب السياسية اليمينية المحافظة والحكومات التى تؤيدها بثقتها ، يصمون آذانهم تجاه مطالب العمـال ونقاباتهم ، وتفاقم الموقف بتصميم الحكومات الرجعية وهى من مخلفات مؤتمر فينا لسنة ١٨١٤ ــ ١٨١٥ على عدم الاستجابة الى جعل التصويت والانتخاب مباشرا مع ازالة حواجز النصاب المالى ، والنص على العدالة الاجتماعية فى صلب الدساتير واصدار تشريعات لحماية العمال والنساء والاطفال من جشع أصحاب رءوس اموال وتعويضهم عن اصابات العمل مع تحديد الحدود الدنيا للأجور والقصوى لساعات العمـل ، وانتهى الحـال بالتسليم بحقوق الطبقات العاملة فى معظم العواصم الاوروبية الثائرة ولم يستفحل الأمر بتحول الثورات الى ثورات دامية حمراء .

وحدا هذا الاتجاه الواقعى الى عناية مفكرى الاشتراكية الانسانية شيئا فشيئا بالمشكلات من ناحيتها الاقتصادية دون أن تفقد دراساتهم روحها الفلسفية ، وكانوا يلمسون فى دراساتهم المشكلات من النواحى الاجتماعية دون أن يغوصوا الى أعماقها مثال فوربيه ولويس بلانك وسان سيمون وبرودون وروبرت أوين ، ولقد رسم مثلا سان سيمون خطط تنظيم الدولة للصناعات لبناء مجتمع مفعم بالرخاء والرفاهة ، ويعمل فيه الناس على تحسين حال الطبقة الأكثر عددا معنويا وماديا ، وتسند السلطات الزمنية الى رجال الصناعة والصناع والسلطات الروحية الى العلماء ، وهو يقول وقد رجحت الناحية الفلسفية فى تفكيره أن البطالة ضد الطبيعة وأن الحرية والمساواة خداع متى أعوز الخبز الفقراء ، ثم يعود فيرسم خطط تصنيع الدولة لموارد البلاد على أساس وضع كل فرد فى وضعه الصحيح فى الانتاج والحشد الصناعى أو الجيش الصناعى كما سماه ، ثم تغلب عليه الناحية الفلسفية فيقول « ان استغلال الانسان للانسان من صفات العلاقات الانسانية فى الماضى وما يهيئه الحاضر والمستقبل هو استغلال الانسان للطبيعة بتعاونه مع غيره من البشر » .

وهؤلاء الكتاب فتحوا أبواب البحث والعلاج على مصاريعها وقد كانت البشرية فى مسيس الحاجة الى النواحى الانسانية والاقتصادية لكتاباتهم فى عصر الثورات الدستورية فى منتصف القرن الماضى ، وهم وقد ضربوا على أوتار قلوب الطبقات المستنيرة والبورجوازية القيادية ونادوا باسم الانسانية والرحمة انصاف الطبقات العاملة دفعوا بمشكلة العمال وهم سواد الشعب الى مقدمة ما يجب أ نتعنى به البشرية للقضاء على استغلال الانسان للانسان ، كما جعلوا الشعور بالحق لانصاف العامل هو الحافز نحو العدالة الاجتماعية وأن الأمر ليس مجرد مصلحة العامل ، وبالغ البعض فى الخيالات والتصورات ، وذهب برودون الى حد الفوضوية فى بحثه عن العدالة والمثل العليا وفى تحليله فكرة القوميات وأن التاريخ والسياسة والتقدم ـ هذه العوامل تنكرها ، وأن القوميات سخرية كبرى من سخريات القدر ، ونبذ فكرة الامتلاك والدولة والدين ، وقدس الفردية الى أقصى الحدود وزعم أنها متعة الحياة ، وأعتبر أن العمل بدونها يعد

تعذيبا والحياة موتا طويلا ، وزعم كذلك أن الفوضوية وضمنها انكار الدولة بنظمها الشرط الأساسى للمجتمع الناضج ، كما ان التدرج هو شرط المجتمعات البدائية ، والمجتمعات مستمرة فى تقدمها تتدرج الى الانارکية ، وبتحول المجتمع ورقيه فى نظره لن يصبح هناك أقوياء وضعفاء وسيذوب النظام السياسى أو الحكومى فى النظام الاقتصادى ، وسيحل المصنع محل الحكومة ، ثم ذهب الأمير كبروبوتكين فى الانارکية من آخر القرن التاسع عشر الى النصف الأول من قرننا الحالى مذهبا علميا فى نظره ، وزعم ان المجتمع الجديد وقد تحرر من الدولة سيصبح مجموعة من الجمعيات المنتجة الصناعية فى ميادين الثقافة والزراعة والصناعة والفن وفى مأمن من ظلم وطغيان الدولة ، وتباشر هذه الجمعيات فى اعتباره حاجات البشرية فى الاستهلاك والاسكان والاضاءة والتدفئة والتغذية والوسائل الصحية وغيرها ، وهى تتعاون فى سبيل تنظيم حياة أسعد للبشرية يقوم على التعاون والنقابية بعيدا عن سلطان الدولة وطغيانها .

وسرعان ما اتخذت مجموعة الأفكار الانسانية والفلسفية والاقتصادية طريقها التطبيقى ، وهى بين التطرف الى حد انكار الملكية الفردية والميراث أو مضاعفة الضرائب على رءوس الأموال مع الاعتراف بالملكية الفردية ، وانصاف اليد العاملة برفع مستوى الأجور وتخفيض ساعات العمل وانشاء خدمات عدة لصالح الشعب وفى مقدمتها التعليم المجانى واتساع نطاق المستشفيات والملاجىء والحدائق العامة ودور الكتب والمساكن الشعبية واستثمار الثروات استثمارا بعيدا عن الاحتكار وسيطرة رأس المال لاستنزاف عرق الشعب وقواه .

وسلكت اجمالا فى التطبيق جل ثورات منتصف القرن الماضى التى اتسمت بأنها ثورات بيضاء لم ترق الدماء فيها انهارا على غرار الثورة الفرنسية طريق التطور بكسب أنصارها المقاعد النيابية عن طريق الاحزاب اليسارية وتأييد النقابات والعمال وخاصة فى انكلترا وفرنسا ، وكانت بادرة تشريعات العمل ونصوص العدالة الاجتماعية فى انشاء المصانع الأهلية بواسطة حكومة الجمهورية الفرنسية الثانية لسنة ١٨٤٨ وكذلك

فى دستورها ، وتتابعت تشريعات حماية العامل وانصافه والاعتراف بالنقابات كخطوات الى الأمام ، وقد وقفت الثورة الفرنسية فى آخر القرن الثامن عشر فى منتصف الطريق بنصها على حريات الانسان الطبيعية والمساواة السياسية دون العناية بالعدالة الاجتماعية وحقوق الأفراد الاقتصادية ، وما جدوى الحريات اذا خوت البطون من الطعام واشتدت فاقة الانسان ؟ وما جدوى اطلاق العامل من سجن نظام الحرف اذا كان سيصادف بزاة الاحتكار وتعسف الشركات بفرض أجورها وأسعار سلعها فرضا على الناس .

وتعددت وسائل شرح التطبيق ، ونحا بعض المفكرين نحوا تعاونيا كروبرت اوين واتجه البعض وعلى رأسهم سان سيمون نحو الناحية الجمعية أو الجماعية واسناد وتنظيم الحياة الاقتصادية للدولة ، وسلك آخرون وقد نشأت الأحزاب السياسية اليسارية على مبادئهم سلوكا اشتراكيا مسيحيا ، وشجعت الكنيسة على نشر تعاليمهم وهى توفق بين المساواة المسيحية والاعتراف بالملكية والرأسمالية الفردية ، وسلمت بأنه لا مندوحة من وجود الأغنياء والفقراء ، غير انه يجب التخفيف من آلام البشرية بالعطف على الطبقات العاملة كركن أساسى للمسيحية التى تدعو الى كسب القوت بعرق الجبين ومنع الحيف والحد من الجشع والأنانية ، ويتعين أن تتدخل الدولة لوضع حد للمنافسة غير المشروعة التى تأباها التعاليم الدينية والانسانية وان تكف الدولة عن التدخل اذا كان فيه ما يخالف الدين والعدالة ، كما انها تشجع انشاء النقابات والاتحادات المختلطة التى تجمع بين أصحاب رءوس الأموال والعمال حتى يرفرف السلام على الجميع وهو أساس المسيحية ، ورأى آخرون أن تباشر الهيئات والاتحادات والنقابات التى يكونها العمال وغيرهم من أصحاب المصالح التطبيق الاشتراكى دون تدخل الدولة وقد تشبعوا بفكرة أن المستقبل للنقابات ، وكان من أهم دعاتها رجال التفكير الشيوعى الذين يزعمون أن الدولة ستختفى مستقبلا بجبروتها وستحل محلها النقابات لتحقيق مطالب الناس وبناء عالم أفضل ، غير أن الأزمات التى أناخت

بكلكلها على الانسانية بفعل الحربين العالميتين الأولى والثانية واضطراب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية واشتداد الأزمة الاقتصادية لما بين الحربين العالميتين وانتشار البطالة الى حد وصـــول رقم المتعطلين فى البلدان الصناعية الغربية الكبرى الى نحو ٣٠ مليون عامل متعطل وكساد الأسعار وتكدس المحصولات والمصنوعات وتراكم الديون العـــامة بلا وسيلة لعلاجها ، وغير ذلك من مشكلات عجز النـــاس عن مجابهتها بلا معونة الدولة أدت الى أن تنحو الاشتراكية القائمة اليوم نحوا قائما على تدخـــل الدولة فى التطبيق وأن تصـــبح فكرة حلول النقـــابات أو سائر الجمعيات محل الدولة حلما بعيد المنال .

وهناك الاشتراكية العلمية وقد خرجت اليوم من نطاق الفلسفة الى النطاق التجريبى والتطبيقى ، وبدأ رجالها يكتبون فيها على أساس شيوعى منذ أفلاطون غير أن جذورها العلمية بدأت تنمو منذ أن بذر الحب كارل ماركس ثم تعهدها تلاميذه من بعده وعلى رأسهم لينين ، وتفصيل الأمر أن مشكلات العمال أخذت تتعقد تبعـــا لازدهار رأس المـــال الفردى والصناعات الآلية ، وأخذت الحكومات فى القرن المـــاضى تستجيب مرة الى طلبات العمال وتحجم مرارا عن مساعدتهم بتحريض عصبة رجال المال والبنوك ، وتذهب الى حد تشريدهم واضطهادهم وقام ماركس بدراسة المشكلة على أسس علمية ومنطق مادى للتاريخ ، وعرض لكفاح البشرية منذ القدم فى سبيل القضاء على الارستقراطية والاقطاع والرق ، ثم قيام البورجوازية التى حلت فى استغلال الشعب محل الطبقات المتميزة قديما ، ودرج من ذلك الى أن الانتصار دائما سيكون للأسوأ حالا والأكثر عددا وأن البروليتاريا ستنتصر حتما على البروجوازية ، وكان شرحـــه يعرض للتطور التاريخى للانسانية ويبين أن التطور وله الطابع المادى هو الذى يدفع بالانسانية الى الحروب والثورات وأن هجوم القبائل من أواسط آسيا على أوروبا قديما وهدم امبراطوريات وقيام أخرى وظهور تشريعات تنسخ ما قبلها هـــذه الظواهر بواعثها اقتصادية ومادية ، وتوقع زوال الرأسمالية الفردية نتيجة تعاقب الأزمات الاقتصادية واصطراع الرأسمالية

وكفاح الطبقات فانتصار البروليتاريا على الطبقة المالكة للثروات ، كما أنه لخص فكرته فى حياة المستقبل المثلى وقد قضى على الاحتكار والاستعمار فى ندائه للعمال عموما فى منتصف القرن الماضى بقوله « عليكم العمل على الغاء استغلال الفرد للفرد وبذا يقضى على استغلال الشعب للشعب » وكذلك وهو يحض العمال على جعل مصالح البروليتاريا فوق كل مصلحة « يا عمال كافة البلدان اتحدوا » ، ولقد أتيحت الفرصة بالثورة الروسية لتطبيق فكرة المساواة الاقتصادية وأن لكل وفق حاجته العزيزة على الشيوعية ، واضطلع لينين فى تطبيقه الشيوعى لبناء الدولة بعد انتهاء القيصرية وتقلد البولشفيك الحكم وانهاء النظام البورجوازى الرأسمالى بأثقل الأعباء التى حملها زعيم على كتفيه على مر التاريخ ، وسار على أساس سياسة أن من لا يعمل لا يأكل والا استغلال من الفرد للفرد ولا ملكية فردية أو فرصة الحصول على ريع من مال أو عقار ، غير أن لينين اضطر للنأى فى التطبيق عن الفلسفة الشيوعية التقليدية ، فلم تحل النقابات محل الدولة ، بل قويت دعائم الدولة وأصبحت اليوم أشد فى صلابتها وطول باعها ورقابتها للافراد والجماعات منها فى عهد القيصرية، وسبق أن زعم لينين « انه ما دامت تقوم الدولة فلا حريات وانه حينما يجىء عهد الحريات فلن تصبح هناك دولة » ، والمشاهد أن الدولة الشيوعية هناك بحدودها وقواها الضاربة وتعصبها للقومية وتفانى المواطن فى الدفاع عن كيانها كما حصل ذلك فى صمودها ضد الغزو النازى للحرب العالمية الثانية ونظامها المكتبى المتدرج شديدة البطش واسعة السلطان ، وليس من دليل على اختفائها القريب أو البعيد لصالح النقابات وقد طوت معها الجيش والعلم والحدود .

وتحاول الشيوعية فى سياستها التطبيقية فى الاتحاد السوفييتى وبلدان شرق أوروبا والشرق الأقصى أن تحقق ما زعمه لينين فى « أن الجماعة

القائمة على سلطان المال والتى تعيش فى جوها الطبقات العاملة فى فاقة وحرمان بينما ينعم نفر يعد على الأصابع بالثروة والغنى ويحيون حيـاة طفيلية لن تتحقق لها حريات حقة وسليمة » .

ثم نحا التطبيق نحوا بعيدا عن الفلسفة فان أحلام المساواة التامة بين الناس دون اعتبار للكفاية والقضاء قضاء تاما على كافة الملكيات الفردية وسير الثورة قدما لتحرير العالم من البورجوازية والنظام الرأسـمالى الفردى وجعل المستوى على نسق واحد فلا تفـاوت فى الأجور وسائر أحلام رجال مدائن الأحلام من الشيوعيين تعذر تحقيقها فى عالمنا الانسانى سواء كان بورجوازيا رأسماليا أو شيوعيا على أساس الاشتراكية العلمية والمادية التاريخية ، وذلك نظرا لتفاوت الكفايات والمقدرة وضرورة ايجاد حافز على الانتاج والعمل ، كما يصعب أن تظل الشيوعية فى حرب مستمرة مع سائر بلدان العالم لهدم النظام الرأسمالى الفردى ، فالحرب وحدها لا تكفل هدم الفكرة ، والتعايش السلمى أجدى لرفاهة البشرية وحسن تفاهمها ، والطريق الى الاقناع والاقتناع أسلم من الحرب الكلية المدمرة، وربما تحمل الأزمات والمشكلات فى العالم البورجوازى فى رأى بعض الكتاب والساسة الجراثيم التى تهدد النظام الرأسمالى الفردى ليمهـد لتعميم الاشـتراكية .

ألوان فى التجارب الاشتراكيـة اليوم

بما فى ذلك اشتراكيتنا العربية

تعددت التجارب الاشتراكية فى شتى البلدان ، ونذكر باختصار بعد تعريف الاشتراكية ، بعض أمثلتها فى الخارج كما نعنى بوصف اشتراكيتنا العربية التجريبية التطبيقية الناجحة .

تعريف الاشتراكية : يصعب فى تعريف شامل بيان أسس الاشتراكية ومفهومها وتوضيح حدودها ، انما تتضح معالمها فى فلسفاتها فى مدائن الأحلام فى وصف خدماتها لسواد الشعب وما تعمله فى رفع مستواه المعنوى والمادى وفى أنواعها ووسائلها المتعددة التى سبق أن شرحناها ، ولكن يمكن تفهم اتجاهاتها فى القول بأنها نظرة سياسية اقتصادية تفتحت زهراتها فى القرن التاسع عشر بنوع خاص ثم نشرت عبيرها فى قرننا الحالى ، وهى لا تضع النقاط على المسائل الاقتصادية أى على وسائل الاثراء وجمع المال بقدر وضعها النقاط واهتمامها بالمسائل الاجتماعية أى البحث عن أفضل الوسائل فى توزيع الثروات والانتاج على أن يقوم الانتاج والتوزيع على أسس من العدالة والمساواة ، وهذا التعريف يختلف عن تعريف الشيوعية أو مذهب الشيوعية فى اتجاهها الارثوذكسى التقليدى أو بعبارة أخرى فى نحوها الناحية النظرية الى أنها الوسيلة التى بمقتضاها يحصل كل فرد على قسط متساو للآخر فى الحاجات فى حياتنا الدنيا ، وبينما تقر الاشتراكية التفاوت فى الكفاية والمقدرة وغير ذلك من العوامل التى تتبع مع الانسان وتتسم بها حياته فان الشيوعية الارثوذكسية أى التقليدية لا تسلم بهذا التفاوت ، وكذلك أهم ما يبرز فى الاشتراكية اليوم أن الحياة الاقتصادية لم تعد طليقة بل تخضع للرقابة والتوجيه وقد يكونان مباشرين وقد يكونان غير مباشرين باشراف الدولة وتشريعها للهيئات والجمعيات التعاونية والنقابات لتنظيم الانتاج وتوزيع الحاجات والمنافع ، وهكذا ترى الحكومة كقوة سياسية محضة تتضاءل أمامها المسائل الاقتصادية ويصبح شغلها الشاغل علاج التفاوت الاقتصادى على يد المهندسين المتخصصين فى الصناعات والعلماء لتبرز قوتها أشد بمؤازرتهم ، وهكذا تسيطر الدولة على الحياة الاقتصادية ، وأهم ما يبرز فى الشيوعية أيضا أن الانتاج ينتهى كقوة خاصة ويصبح ملكا جماعيا للشعب كمجموع أو للدولة وذلك تفاديا من استغلال الانسان ، ويمكن والحالة هذه تشبيه الاشتراكية بروحة متشعبة الأطراف تنتشر لتضم اليها شتى مصالح الجماعات وتحاول علاجها عن طريق الدولة أو ما يحل محلها

التجارب الاشتراكية : تعددت التجارب الاشتراكية فى شتى البلدان وتناول أهمها باختصار فى روسيا ، وانجلترا والولايات المتحدة الأمريكية والسويد وأسبانيا وايطاليا وألمانيا وفرنسا ثم تجربتنا الاشتراكية فى أثر ثورتنا الناجحة ليولية ١٩٥٢ وفيما يلى البيان :

١ — التجربة الروسية : فشلت الثورة الاشتراكية أو بالحرى الشيوعية لسنة ١٩٠٥ فى روسيا المضعضعة بهزيمتها فى الحرب الروسية اليابانية لأن البرجوازية المستنيرة التى تميل الى الديمقراطية الغربية وبمعونة هذه الديمقراطية المادية والأدبية وقفت فى قوة وحزم ضد الثورة وقد التفت حول القيصر لحمايته ، كما لم تنظم المقاومة بين الفلاحين والعمال تنظيما يساعد فى نجاح الثورة ، وظل الجيش على اخلاصه للقيصر ، ثم نجحت ثورة سنة ١٩١٧ هناك تبعا لضعف الحكومة المستبدة وتراخيها فى مقاومتها وقد تتالت عليها هزائم الحرب العالمية الأولى ، فضلا عما وضح للشعب من فضائح البلاط وايمان القيصر والقيصرة بتدجيل راسبوتين ، ولأن الجيش فى حربه ضد ألمانيا كان ضعيف السلاح ومسوقا بقادة على ضعف كبير وعدم كفاية ، وخاطب الثوار الجندى الفلاح بعبارات يفهمها بسهولة وتصادف هوى فى نفسه لجذبه الى صف الثورة وهى « عد الى دارك لتستفيد من توزيع الأراضى على الفلاحين . »

وبدأ تنفيذ سياسة اقتصادية تقضى هناك الى الأبد على السياسة القائمة على المساواة أمام القانون فحسب وعلى الأسس الديمقراطية البورجوازية الحرة وعدم تدخل الدولة الا بقدر ، وقامت دكتاتورية البروليتاريا تتمثل فى سيطرة الحزب الشيوعى ، وسرعان ما نشبت الحرب الأهلية وقامت جيوش الغزو والرجعية تزحف للقضاء على الدولة الشيوعية وهى فى مهدها وانتشرت المجاعات ، غير أن المحاولات التى ارتكبت ضد الثورة وسائر أعمال الغزو الرجعى فشلت وأخذت تستقر الأمور شيئا فشيئا

ثم صدر الدستور الشيوعى وتعدل وتغيرت نصوصه وفق الواقعية ، وكان أبرزها دستور سنة ١٩٣٦ ، وقام الدستور هناك عموما

على أساس الغاء الامتلاك الفردى وأن من لا يعمل لا يأكل وأنه لا مجال ليسخر الانسان الآخر ، ثم باشرت الدولة عمليات الانتـــاج وتخزين الحاصـــلات وسائر الحاجات لصالح الشعب وقامت بالتـــوزيع وقضت تدريجيا على التجارة الخاصة ، واتجهت بهمة الى التصنيع وخاصة فى مجال الصناعات الثقيلة والتسلح ورسمت الخطط الخمسية المتتابعة ، وبعدت عن خيالات الشيوعية التقليدية وخاصة فى الحرب العالمية الثانيـــة بالاعتماد على قوة الفكر القومية لمقاومة الغـــزو النازى ودفاعا عن الأرض والخبز والحرية ، وصارت الرأسمالية هى رأسمالية الدولة التى شجعت بدورها الانتـــاج عن طريق ان لكل وفق كفايته وعمله لا وفق حاجته فحسب ، لم تعد الشيوعية مادية فى نظرياتها ومثالية فى واقعيتها ، وذلك عن طريق الانتاج الجماعى والافادة من كفاية الفرد ، بل هى واقعية تجريبية تطبيقية وفق حاجة الوطن والتربة والظروف ولحماية الدولة والفرد كخليـــة من خلاياها ، وقويت الدولة واشتد عضدها على خلاف ما تغنى به فلاســـفة الشيوعية ، واندمجت فى المجتمع الدولى بعد محاولات الثـــورة لتحقيق الثورة العالمية ، وسارت فى سياسة التفاهم بين الأسرة الدوليـــة لتضمن لها مكانة مرموقة فيها ولتتقى تألب النظام الرأسمالى الفردى عليه ومحاولة اخماد النظام وهو فى نعومة أظفاره .

٢ — التجربة الانجليزية : تتجـــه الاشتراكية الانكليزية اتجـــاها ديموقراطيا يقوم على تنافس حزبين أساسيين وهما حزب المحافظين وحزب العمال ، وكل يبسط برنامجـــه على الشـــعب ليحظى بثقتـــه عن طريق الانتخـــاب والحصول على غالبيـــة المقـــاعد كما رأينـــا فى انتخـــابات ســـنة ١٩٦٤ التى ترتب عليهـــا فوز العمـــال على المحـــافظين وتسلمهم مقـــاليد الحكم ، والنشاط الحزبى والدعوة الانتخـــابية والفوز بالمقاعد النيـــابية هذه العمليـــات تشـــبه اللعبة الرياضـــية لا يصحبها العنف أو الحرب الأهلية ولا تنطـــوى أو تخلف ضـــغينة ما ، وتولى حـــزب العمـــــال الحكم لأول مرة بتحالفـــــه مع حزب الأحرار سنة ١٩٢٤ ، وحزب العمـــال ملاذ ســـواد الشعب ومن أصـــابتهم البطالة بســـهامها ، وتتجه الاشتراكيـــة البريطانيـــة اتجاها واقعيـــا حسب الأحداث ،

كما تتعاون مع النقابات واتحادات العمال تعاونا وثيقا ، وتتلقى مطالبها لتعمل على تحقيقها بالطرق المشروعة ، وحاول العمال عقب انتخابات سنة ١٩٢٩ علاج أزمة البطالة وقدبلغ عدد المتعطلين أكثر من أربعة ملايين ، كما لجأت الوزارة القومية الى علاج أزمة الاسترلينى والتجارة الخارجية وكساد الصناعة فى سبتمبر سنة ١٩٣١ ، وخرجت المملكة المتحدة فى ذلك الوقت مضطرة عن عيار الذهب وطرقت أبواب الدومنيون لترسم سياسة موحدة فى التعاون الاقتصادى وتبادل الحاصلات وتفضيل منتجاتها على المنتجات خارج الامبراطورية والتكاتف فى مجابهة كساد التجارة وما يسببه الخروج عن عيار الذهب وذلك فى مؤتمر اتاوة لسنة ١٩٣٢ ثم ما تبعه من مؤتمرات مماثلة ، ونجحت حكومة العمال فى التقرب الى الشعب بين آونة وأخرى من تقلدها الحكم عن طريق توسيع دائرة التشريعات العمالية ومكافحة البطالة وكذلك وضع برنامج شامل لتأميم الصناعات الثقيلة والتعدين لصالح الشعب ، وهو فى طريق تنفيذه اليوم مرة أخرى وسبق أن تعطل على يد المحافظين .

٣ — سياسة التخطيط الأمريكية : ان اقتصاد الولايات المتحدة دسم الانتاج مع تنوعه فى نواحى الزراعة والصناعة والتجارة والبلاد سوق مقفلة نظريا يمكنها اذا شاءت أن تحيا فى عزلة عن الأسواق العالمية ، ومواردها غزيرة وهى مستمرة النمو ، وتعد اليوم أولى البلدان الصناعية التى تحكم على أعلى مراتب الانتاج الفنى القائم على التقدم العلمى الذى يسير من حسن الى أحسن باستمرار ، ومؤسساتها الخاصة وشركاتها قوية ، وطالما اصطدمت بالدولة تبعا لسياستها الاحتكارية ، ولقد هددت الحكومة بالتأميم أو ما يشبهه من تشديد الرقابة احتكارات البترول فى السنى الأخيرة للحرب العالمية الأولى كما عادت الى نفس التهديد على نطاق أوسع فى الحرب العالمية الثانية ، غير ان الشعب تبعا لتعقيد الاقتصاد الأمريكى ولترك الأمور هناك للمنافسة فحسب حتى استحكام حلقات الأزمة الاقتصادية العالمية سنة ١٩٣٠ ولعوامل خارجية عدة زحفت على الاقتصاد الأمريكى من أوروبا وآسيا . لم يسلم من الأزمات وبلغ عدد المتعطلين فيما بين الحربين العالميتين أكثر من ١٢ مليون متعطل فضلا عن

كساد الزراعة والصناعة والتجارة والتوقف عن وفاء التعهدات والديون ، مما حدا بالحكومة الى التدخل لمساعدة صغار الزراع والصناع ولاعانة المتعطلين وانقاذ انهيار الأسعار والبنوك والبحث عن طريقة سريعة لمجابهة عجز أوربا عن وفاء ديونها العامة للولايات المتحدة الأمريكية ، وأصدرت المواتوريوم بتأجيل الوفاء لفترة سنة وذلك فى أول يولية سنة ١٩٣١ بناء على اقتراح الرئيس هوفر Hoover وبدأت الولايات المتحدة فى الاتحاد منذ ذلك التاريخ تصدر التشريعات المحلية لمساعدة العجزة والمسنين والتعويض عن اصابات العمل ، كما عنيت واشتركت فى ذلك الهيئات ذات الطابع الانسانى والدينى لمساعدة الفقراء والأسر المعدمة مع نشر وسائل العلاج الصحى وتشجيع البحوث العلمية ورفع المستوى المعنوى للأفراد ومكافحة العنف والجرائم كمكافحة الجمعية السرية المتعصبة للعنصرية وخاصة ضد السود والأقليات المسماة كوكلوس كلان وحماية الأمومة والطفولة والحض على مقاومة الشرور ونشر السلام والأمن الدولى ، وساهمت الحكومة الاتحادية بقسط وفير فى النشاط المحلى ، وكان من أبرز ما وضح كتحول اقتصادى من الحرية التامة الى رقابة الدولة قانون التوجيه والمعونة الاقتصادية للزراع والصناع المسمى نيوديل الذى أصدره روزفلت كتجربة اقتصادية تجنح نحو الاشتراكية ومعونة الشعب فى محنته ، سنة ١٩٣٣ قائمة على تدخل الدولة فى الانتاج ، ورغم تعارض القانون مع روح ونصوص الدستور الاتحادى الذى يقرر التنافس الحر فى كافة الميادين وبلا قيود والحرية الاقتصادية والتجارية للجميع فأن الحاجة الماسة وضرورة علاج الأزمة علاجا سريعا حدتا الى اقراره رغم رفض المحكمة العليا تطبيقه فى بادىء الأمر بمناسبة طرح النزاع عليها بخصوص قبول المبدأ ، وأجاب على رفضها روزفلت بأن الأعضاء « لا يزالون يعتقدون انهم يعيشون فى عصر العربات التى تجرها الخيول » ، ورأى روزفلت مستعينا بمكتبه الفنى لعلاج الأزمة لصالح الجماعات ان من الوظائف الطبيعية للدولة التدخل لتحديد ساعات العمل والأجور الدنيا لعمال شتى الصناعات وتنظيم الانتاج الزراعى وتحريم تشغيل الأطفال وتقرير معاشات

للمسنين وشتى ما يجعل سواد الشعب فى مأمن من القلق والفاقة ، وكان الرئيس على وشك اتباع الطريق الدستورى والتشريعى لتعديل تشكيل المحكمة ، ثم سارت الأمور فى مارس سنة ١٩٣٧ وفق رغبـة الحكومة وعدلت المحكمة العليا عن رأيها الأول وانقذ كيان المحكمة ، كما نشطت تشريعات العمل والعمال هناك منذ دخول البلاد الحرب العالمية الثانية فى ديسمبر سنة ١٩٤١ .

٤ — التجربة السويدية : بدأت السـويد نشاطها الصناعى سـنة ١٨٧٠ ، وصحب ذلك تأسيس النقابات على نسـق النقـابات الألمـانية والانكليزية المعروفة بتعاونها مع الأحزاب السياسية هنـاك ، وسرعان ما تزايد عدد أعضاء النقابات واستجابت الدولة لمطالب العمال دون تململ وأخذت تزيد فى تثمير موارد البلاد بالتعـاون بين الطبقـات العـاملة والرأسمالية وبنشر نظام الجمعيات التعاونية وبتحقيـق برنامج واسـع للعدالة الاجتماعية لصالح اليد العاملة وخاصة فى رفع مستوى الأجور مع المحافظة على كيان الملكية الفردية وسارت الاشتراكية فى هـدوء دون اصطدام بالرأسمالية لتحقق مطالب سواد الشعب ، وتعيش السويد فى هدوء وطمأنينة وسلام ، وتتطور هناك الاشتراكية لتحقيق الرفاهية للمواطن وتزيد فى الأجور والضمانات الاجتماعية وموارد البلاد المستثمرة وسلع الاستهلاك وهى لا تلتقى بالأزمات الخطيرة والاضطرابات الدامية ، ومما يذكر أن ما يناله الفرد هناك من ميزانية الصحة العامة يعتبر أعلى مستوى فى الميزانيات فى العالم .

٥ — التجربة الاسبانية : قامت فى اسبانيا ثورة بيضاء نتيجة الهزائم والأعباء الحربية التى تكبدتها الملكية فى مراكش وجاء الاجهاز مؤخرا على الدكتاتورية وأطاحت الثورة بعرش الملك الفونس الثالث عشر فى مطلع سنة ١٩٣١ ، وقامت حكومة جمهورية ديموقراطية للعمال فى ١١ ابريل سـنة ١٩٣١ وتتابعت الحكومات بين المعتدلة واليسارية والحمراء ، ونشطت أعمال الفدائيين واشتد العنف والتنكيل برجال الدين ، ثم اشتعلت الحرب الأهلية من سنة ١٩٣٦ الى ١٩٣٩ وانتهت بزوال الحـكومة الجمهورية

الاشتراكية باتتصار اليمينيين بجيوش فرانكو ودحر الجمهوريين اليساريين ، وقامت دكتاتورية يمينية ذات طابع دينى ملكى للتمهيد لاقامة ملك على عرش اسبانيا ، وظل الوضع مركزا فى وصاية على العرش الى يومنا هذا ، وكانت الحكومات الجمهورية واليسارية والحمراء قد ذهبت الى حدود بعيدة فى التطبيق الاشتراكى والاعداد للاصلاح الزراعى وطلب الى الفوضويين فى أواخر عهدها الاشتراك فى الحكم ، ثم لم تغفل فيما بعد الدكتاتورية اليمينية بعد الحرب الأهلية مصالح ومطالب العمال والتشريع للعمل وتنشيط الصناعات واعادة بناء الدولة التى مزقتها الحرب حتى تسترد البلاد الاستقرار والسكينة والرخاء بعد براكين وعواصف واضطرابات ودمار أودى بالملايين من الأنفس وأطاح بمدن عامرة برمتها .

٦ ـ التجربة الألمانية : بدأت التطورات الاشتراكية الألمانية الحديثة ـ وألمانيا كانت تحتوى على طليعة مفكرى الاشتراكية ـ باطاحة الثورة سنة ١٩١٨ بعرش الهونزلرن بعد عجز جيوش هندمبرج عن مقاومة ضغط الحلفاء وتحقيق النصر لأمبراطوريات الوسط ، وبدأت الحكومات الاشتراكية تتعاقب على ألمانيا الجمهورية القائمة على دستور فيمار Weimar الصادر بتاريخ ١١ أغسطس سنة ١٩١٩ ، وتميزت الحكومات الاشتراكية بالبذخ والمبالغة فى الانفاق فى مشروعات الترفيه عن سواد الشعب ، كما انها وقفت موقفا عنيدا فى عدم وفاء التعويضات التى فرضتها معاهدة فرساى على ألمانيا المنهزمة ومهدت للتملص من القيود التى فرضها المنتصر على المنهزم ، واتخذت الافلاس المالى سنة ١٩٢٣ وسيلة للقذف بالمارك الى الحضيض لاعادة بناء البلاد اقتصاديا ، وجاءت فى أعقابها الثورة النازية أو الاشتراكية الوطنية سنة ١٩٣٤ ، للانتقام داخليا ممن تسبب فى نظرها فى هزيمة الحرب العالمية الأولى وخاصة الشيوعيين وسائر اليساريين وغيرهم وللاعداد للحرب العالمية الثانية بتسلح البلاد واعادة تسليح شاطىء الرين ورفض تنفيذ شروط المنتصر على المهزوم والخروج من عصبة الأمم ونرى روح الاعداد للحرب فى كتاب « كفاحى » لهتلر ، وكانت سياستها اشتراكية بمحاولة ارضاء الطبقات العاملة بتوفير الأعمال لها ووطنية عنصرية بتغذية وتمجيد

الروح الوطنية الألمانية الآرية لبناء ألمانيا الكبرى ولاسترداد الأراضى التى تعتبر ضمن ألمانيا الكبرى كأراضى السوديت فى تشكوسلوفاكيا بالتهديد ثم برضوخ الديمقراطية الغربية ممثلة فى فرنسا وانكلترا لمطالب هتلر فى سبتمبر سنة ١٩٣٨ باتفاق ميونيخ ، وكان شعارها « المدفع قبل الزبدة » ، وقد زالت النازية بهزيمة ألمانيا سنة ١٩٤٥ ، وقسمت المانيا الى شطرين والأساسى المانيا الاتحادية الغربية ، وسرعان ما عادت هذه الى النمو والازدهار وراجت فيها الصناعات وكسب العامل أضعاف ما كان يجنيه فى عهد الحرمان النازى ، ويسير التطور الاشتراكى فى تؤدة اليوم متعاونا مع رؤوس الأموال للشركات والمشروعات الصناعية الكبرى .

٧ — التجربة الايطالية : ان أبرز ما فى الاشتراكية الايطالية لما بعد الحرب العالمية الأولى محاولات العمال بالاضراب ونشر الذعر والاضطراب واحتلال المصانع وانتزاع مطالب تذهب الى حد مشاركتهم لأربات الصناعات فى رءوس الأموال والأرباح ، وتعددت الاضرابات العامة وهددت المرافق وعمت البلاد الفوضى وعجزت الحكومات عن مواجهة الحالة وايجاد حل حاسم يمنع تفشى الشيوعية ، وانتهى المطاف بزحف موسولينى زعيم الفاشية فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٢٢ على روما وتسلمه برضى الملك مقاليد الوزارة لاعادة الاستقرار للوطن وبناء دولة حديثة قوية الدعائم ، وقامت اشتراكية على أساس قومى دون الاهتمام بالجانب العنصرى على خلاف النازية ، وهدفت الى تنظيم الانتاج عن طريق نظام الحرف ، وتوفر العمل للجميع ، ونشأ الجيش الوطنى على أساس تدريب الطفل منذ نعومة أظفاره ، وبالغت الفاشية فى التسلح وعملت على اعادة مجد روما القديم وسيادتها فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، وذهب موسولينى بأساطيله وجيوشه دون عقبات الى الحبشة فهدم استقلالها وضمها الى الامبراطورية الفاشية سنة ١٩٣٦ ، وقد كانت ايطاليا اشتبهت فى دخولها عصبة الأمم ، ثم أعقب ذلك اعتداء على استقلال البانيا وضمها الى الامبراطورية أيضا سنة ١٩٣٩ ، ثم عاد الى ايطاليا نشاطها الاشتراكى بعد الحرب العالمية الثانية فى حدود مساحة الوطن وقد تحولت الى جمهورية ، وأخذت اقتصادياتها وصناعاتها تنمو وتزدهر

بسرعة تعددت التشريعات والخدمات للعمال ، وتعـددت أيضا البرامج الحزبية اليسارية وغيرها ، ونشطت الشيوعيـة وكانت قاب قوسـين أو أدنى من تقلد الحكم بالطريق المشروع .

٨ ـ التجربة الفرنسية : تتميز التجربة الفرنسية بطابع الشـعب المعتز بالفردية والمتعشق لحقوق الانسان ، وهكذا تجمـع الاشتراكيـة هناك بين الفكرة الانسانية ـ فكل فرد يشعر بكيانه كانسان يفكر فهو قائم وموجود على أساس تفكير ديكارت Descartes ـ والتعاون فى البناء ومجابهة الكوارث والأحداث ، وتتعدد جمعيات التعاون والنقابات والاتحادات وهيئات معونة الطفولة والأمومة والمعوزين والمسنين وجرحى ومشـوهى الحرب الخ .. ، وتتعدد برامج الأحزاب اليسارية وهى تضرب على نغمات من المثالية والواقعية ، وتبدأ من التطور البطىء فى سبيل الوصـول الى ما هو أفضل لصالح الفرد والجماعة على أساس السياسة الراديكالية الى التطرف والشيوعية ، وهى قوية وخاصة فى المناطق الصناعية والتعدينيـة فى شمال فرنسا غير أن الشيوعية فى فرنسا اذا حضت بين حين وآخر على الاضراب للاستجابة الى مطالب العمال الملحة فهى لا تذهب الى حد سياسة العنف والتدمير لقلب نظام الحكم ولا تسير النقابات فى ركاب الخارج ، وهى تعدل عن الفكرة الثورية لتركز جهودها فى الناحية الاصلاحية ، ولم يتح للأحزاب الاشتراكية تنفيذ برامجها بحذافيرها لتعـددها وصـعوبة حصولها على أغلبية مطلقة لتـولى زمام الحكم والاسـتقرار فى أرائك الوزارات ولاضطرارها للتحالف مع أحزاب أخرى لتولى الوزارة وبذا تتنازل عن العديد من مطالبها ، وتعمل حكومات ما بعد الحرب العالمية الثانية وقد أخذت أسعار الحاجات فى فرنسا تقفز قفزا جنونيا وبسرعة على التوفيق بين ارتفاع الأسعار ووجوب زيادة الأجور حتى لا تندلع الثورة ، وهذا يدعوها باستمرار الى دراسة الموقف ومعالجة تذمر شتى طوائف العمال وذوى الأجور والمرتبات والدخول الثابتة ، وكذلك حتى لا يترتب على التفاوت هبوط مستوى معيشة العمال واشتداد ضنكهم وضـعف انتاجهم ، كما يلاحظ فى البلدان اللاتينية تبعا لصخب الأهلين وحماسهم وروحهم الخطابية بما فى ذلك فرنسا عدم انتظام التعـاون بين نقـابات

واتحادات العمال والأحزاب اليسارية باستثناء الحزب الشيوعى الذى ينتقى المعسول من الألفاظ لاغرائها كما يحاول الاتصال المنتظم بها لتحديد مطالبها والسعى فى سبيل تحقيق ما يمكن تحقيقه منها .

٩ — التجربة والتطبيق الاشتراكى العربى : نرى طابع التطبيق الاشتراكى الذى لاحظناه فى وصفنا المقتضب السالف بدوره عندنا ، والاشتراكية عندنا تتخذ لها وضعا يلائم طبيعة الشعب والمناخ السياسى والاطار الاقليمى وذلك منذ قيام ثورتنا البيضاء الناجحةوفق ارادةالشعب وعزيمة القوة القيادية المثورة على تحقيقها وهى منبثقة من الشعب ولتحقيق آماله العريضة فى حياة أفضل ، باقامة الاشتراكية العربية بطابعها التجريبى التطبيقى .

وتتميز اشتراكيتنا العربية فى نبوعها من حضارتنا ومناخنا السياسى ، ويغلب فيها لطابع العربى وحاجات الاقليم وروح الشعب ، ولها ايديولوجيتها التى سبقت التطبيق ، ثم نواحيها التجريبية والتطبيقية وهى تختلف عن غيرها من الاشتراكيات ، واذا تقابلت بعض المبادىء مع بعض الاشتراكيات التى سبق أن وصفناها فهذا بحكم ايديولوجية الاشتراكية بصفة عامة ، ولا شك ان اشتراكيتنا لها طابعها الذاتى ، وهى لم تستورد مبادئها من الخارج ، بل جاءت الثورة بحلول ناجحة لمشكلات سو اد الشعب تتفق مع طبيعة الشعب ، وادواؤنا تتطلب أدوية تناسبها وفى طليعتها تصفية رواسب الاستعمار وهدم الاقطاع وازالة فوارق الطبقات مع مجابهة اطراد تزايد عدد السكان والتزاحم على العيش وضرورة توسيع الرقعة الزراعية وتنمية ثروة البلاد الصناعية ونشر جناحى الاشتراكية العريضين فى العالم العربى ليصبح بوحدته واشتراكيته عالما واحدا مرهوب الجانب له وزنه فى الميدان الدولى .

ونرى صفاء اشتراكيتنا وروحها التى كنمير الماء فى طابعها العربى الذى يجمع بين ديمقراطية العرب وتعاطفهم وتآخيهم وسماحتهم على وتيرة حضارتهم وبين أخذهم بأسباب الحضارة الحديثة ، كما يسوى بين صوالجة الحكام وقلنصوات العامة ، والناس فى دار الاسلام سواسية كاسنان

المشط ولا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، وعاش المواطنون ويعيشون فى ديار العرب والاسلام على اختلاف مللهم ونحلهم اخوة فى المعاملة ، وهم على حد حديث الرسول فى سفينة وعليهم التعاون فى ابحارها الى شاطىء الآمان ، وهو يقول فى حديثه الشريف « ان قوما ما ركبوا سفينة فاقتسموا فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل موضعه بفأس ، فقالوا ما تصنع ، قال هو مكانى أصنع فيه ما أشاء ، فان أخذوا على يده نجا ونجوا ، وان تركوه هلك وهلكوا » ، وجسد العالم العربى واحد واذا أصيب عضو فيه شعر بقية الأعضاء بالمرض والحمى ، كما جاء فى الكتاب الكريم فى الحض على التآلف « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » ، ولا يشعر الناطق بالضاد بغربة فى جوسه خلال ديار العرب من المحيط الى الخليج .

وروح اشتراكيتنا ناصعة البياض على وتيرة الثورة التى حققتها وأنقذت الأمة العربية من الطغيان والاستعمار والتردى فى هاوية التأخر ، ولم تتسم بسفك الدماء والتدمير ، وجاءت شعبية تعاونية عميمة الخير بارادة الأمة وتكاتف المواطنين لتحقيق مبادئها ، واتضحت هذه الروح فى « فلسفة الثورة » للرئيس جمال عبد الناصر بقوله « أنا الآن أستطيع أن أقول اننا نعيش فى ثورتين وليس فى ثورة واحدة ، ولكل شعب من شعوب الأرض ثورتان ، ثورة سياسية يسترد بها حقه فى حكم نفسه بنفسه من يد طاغية فرض عليه أو من جيش معتد أقام فى أرضه دون رضاه ، وثورة اجتماعية تتصارع فيها طبقاته ثم يستقر الأمر فيها على ما يحقق العدالة لأبناء الوطن الواحد ، لقد سبقتنا على طريق التقدم البشرى شعوب مرت بالثورتين ، ولكنها لم تعشهما معا ، وانما فصل بين الواحدة والثانية مئات السنين ، أما نحن فان التجربة الهائلة التى أمتحن بها شعبنا هى أن تعيش الثورتان معا فى وقت واحد » ، ورأينا كيف جاءت فور قيام الثورة فى يولية سنة ١٩٥٢ الثورة الاجتماعية الكبرى وهى بدء تطبيق مغزاها بتنفيذ السياسة الاشتراكية .

ومبادىء الثورة بروحها الاشتراكية تتضـح كذلك فى الميثاق الذى قدمه الرئيس للمؤتمر الوطنى للقـوى الشعبية فى ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ ، وبرز فى الكفاح الثورى ممتزجا بالكفاح الاشتراكى فى المبـادىء التى سردها ، وهى صلابة ارادة التغيير الثورى فى مواجهة جيوش الاحتلال البريطانى وضرورة القضاء على الاستعمار وأعوانه وفى مواجهة تحكم الاقطاع وضرورة القضاء عليه وفى مواجهة تسخير موارد البـلاد لخدمة مصالح مجموعة من الرأسماليين وضرورة القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم وفى مواجهة الاستغلال والاستبداد وضرورة اقامة عدالة اجتماعية وفى مواجهة المؤامرات لاضعاف الجيش واقامة جيش وطنى قوى وفى مواجهة التزييف السياسى الذى يحاول أن يطمس معالم الحقيقة الوطنية وضرورة اقامة ديمقراطية سليمة ، كما جاء فيه « .. الاشتراكية بدعامتيها من الكفاية والعدل هى طريق الحرية الاجتماعية » ، وكذلك « ان الحـل الاشتراكى لمشكلة التخلف الاقتصـادى والاجتمـاعى فى مصر وصولا ثوريا الى التقدم لم يكن افتراضا قائما على الانتقـاء الاختيارى ، وانما كان الحل الاشتراكى حتمية تاريخية فرضـها الواقع وفرضتها الآمال العريضة للجماهير ، كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعـالم فى النصف الثانى من القرن العشرين .. » كما أكد الميثـاق أن الوحدة العربية حقيقة الوجود العربى ذاته وذلك على أساس وحدة اللغة ووحدة التاريخ ووحدة الأمل التى تصنع وحدة المستقبل والمصـير ، وهكذا تصبح هناك اشتراكية عربية واحدة تضم الى اعطافها العالم العربى ورائدها الجمهورية العربية المتحدة ، وقد حملت شعلة الثـورة والتقدم لصـالح العـرب .

ولقد كانت باكورة أعمال الثورة تحقيق الاشتراكية لوطننا وللعرب ، بقانون الاصـلاح الزراعى لسبتمبر سنة ١٩٥٢ وتحديده الحد الأقصى للملكية الزراعية للفرد والأسرة بمائتى فدان ثم سار الركب فى تجاربه وانزل الحد الأقصى بقانون أغسطس سنة ١٩٦١ الى مائة فدان مع توزيع الأراضى على صـغار الفلاحين ، كما اهتمت بالصـناعة وبحثت ضرورة تنميتها فى هيئات متتابعة فى تشكيلها ، واتجهت جميعا نحو انشاء شتى

الصناعات الثقيلة والآلية والحربية والخفيفة وفى مقدمتها صناعات الصلب مع التوسع فى صناعات الغزل والنسيج وسائر الصناعات الزراعية وضرورة توفير اليد العاملة الفنية لهـذه الصناعات والأعمال لعدد السكان المطرد الزيادة وقد كان سنة ١٨٠٠ نحو ٢٠٠ر٤٦٠ر٢ وارتفع الى أكثر من ٢٧ مليون نسمة اليوم ويتوقع وصوله الى ٥٠ مليون سنة ٢٠٠٠ ولا تقابله زيادة فى الرقعة المنزرعة بنفس النسبة فالأرض المنزرعة سنة ١٨٠٠ كانت نحو ٥ر١ مليون فدان ووصلت اليوم الى نحو ٦ مليـون فدان ويمكن بلوغها نحو ٥ر٧ مليون فدان ، وهذا الضيق يزيد من اعباء الدولة لتوفير الغـذاء ومطالب الحياة للافواه الجديدة ، وقد سارت الثورة حثيثا فى تجاربها الاشتراكية فبادرت فى يولية سنة ١٩٥٦ فى ظروف عصيبة أدت الى مواجهة الاستعمار وعدوان دولتين كبيرتين فرنسا وانجلترا وصنيعتهما اسرائيل الى تأميم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية .. وهى شركة مساهمة مصرية لاستخدام حصيلتها فى بناء السـد االعالى لزيادة الرقعة المنزرعة عندنا ، ولجأت الثورة فى سياستها التجريبية الراسخة العمد الى رفع الأجور والعنـاية بالفلاحين والعمال والمثقفين من خريجى الجامعات والفنانين وتوفير الأعمال للجميع وتذويب الفوارق بين الطبقات فى بوتقة واحـدة ، والى سـياسة تأميم المرافق والشركات والمشروعات الصناعية والبنوك على اختلافهـا ، حتى تحكم الرقابة عليهـا وتوجهـا توجيها اشتراكيا صـادقا وترفع من كفايتهـا وانتاجهـا وتقضى على احتكار واستغلال رأس المال لصـالح نفر ، واحترمت فى الوقت ذاته رأس المال الفردى القائم على الكفاية والعدل والكد فى جمعه وفى حدود الا يصبح أداة استغلال للشعب ، واشركت الفلاح والعـامل فى ادارة المشروعات والشركات ، كما جعلتهمـا بحكم الدستور المؤقت لمارس سـنة ١٩٦٤ يساهمان بنسبة ٥٠٪ فى مقاعد مجلس الأمة ، واتجهت السياسة العامة للثورة الاشتراكية اتجاها حاسما فى تحقيق تآزر العرب لتوحيد الفكرة الاشتراكية بينهم على أساس وحدتهم ، وهى دائبة فى المؤتمرات المتعاقبة وخاصة لسنة ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ فى تأييد هذه الفكرة بعزم ، وكان ثمرات جهودها اتحاد الجمهورية العربية المتحدة مع العراق سنة ١٩٦٤ ، وكذلك

سارت السياسة الخارجية ذات الطابع الاشتراكى فى تأييد سياسة السلام ومبادىء الأمم المتحدة مع عدم الانحياز لكتلة من الكتلتين المتصارعتين فى عالم اليوم ومع مساندة حركات التحرر من الاستعمار للشعوب الشقيقة والصديقة بأفريقيا وآسيا وضرورة تدعيم سياسة المؤتمر الآسيوى الأفريقى ومنظمة الوحدة الأفريقية باعتبارهما الاطار الذى يجمع الشعوب المناضلة المتحررة .

وهكذا نرى فى عرضنا السالف لشتى المذاهب والتجارب الاشتراكية ، والمذاهب تحلم بعالم أفضل تتمناه ولكنها تختلف فى فروضها وفى سياستها فى سبيل اسعاد البشرية وانهاء كفاح الطبقات وبؤس الانسانية ، والتجارب والتطبيق يتمان بناء على الحاجة والواقع ونرى فيهما خطوات مستمرة لشق طريق معبد فسيح وفق مطالب الشعب وبيئته ومناخه السياسى ، وقد لا تطابق الأحلام الواقعية ، كما سبق ان بينا ، ونرى اشتراكيتنا المنبعثة من ثورتنا تسير حثيثا فى الطريق التجريبى التطبيقى الواقعى الصادق ، وتجاربها واسعة ناجحة وتحقيق أهدافها مستمر بهمة وبارادة الشعب وتأييده بقيادة زعيم الثورة وقائد العروبة الرئيس جمال عبد الناصر فى سبيل تحقيق الرفاهة للشعب المصرى وللعرب كافة ، وبلا شك ان الثورة والاشتراكية النابعة منها هما رائدا العرب فى تقدمهم وجمع شملهم فى حزمة متماسكة .